علم الغيب في نظر الشيعة

<"xml encoding="UTF-8?>

هل أن النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) يعلمون الغيب ، الذي اختُصَّ به الله عزَّ وجل ؟

نحن ندَّعي علم الغيب للنبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) ، ولكن لا على نحو الاستقلالية ، بل نقول : إن الله أطلع نبيه (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) على الأمور الغيبية التي لم يطَّلِع عليها أحد .

وإن شئت قلت : علم الغيب لذات الشخص وبلا توسط من الغير ، هو العلم الثابت لواجب الوجود ، والذي هو عين الذات ، وهذا مختص بالله ، ولغيره تعالى يعتبر كُفراً .

أما العلم بالغيب الذي هو بتوسط الله تعالى ، وليس هو عين الذات ، فهذا الذي يعلمه الرسول (صلى الله عليه وآله) ، والأئمة (عليهم السلام) ، وقد دلَّت عليه الآيات ، والروايات ، نذكر منها :

الأولى

حينما كان الإمام عليه (عليه السلام) يخبر عن الملاحم بالبصرة ، وما يجرى فيها في المستقبل ، فقال له بعض أصحابه : لقد أُعطيتَ يا أمير المؤمنين علم الغيب ؟!!

فضحك (عليه السلام) وقال للرجل – وكان كلبياً – : (يا أخَا كلب ، ليس هو بعلم غيبٍ ، وإنما هو تعلُّم من ذي علم ، وإنما علم الغيب عِلم الساعة ، وما عدَّده الله سبحانه بقوله : (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) لقمان : ٣٤ .

فهذا هو علم الغيب الذي لا يعلمه أحدٌ إلا الله ، ما سوى ذلك فعلمٌ علَّمه الله ، وما سوى ذلك فعلمٌ علَّمه الله

نبيَّه فَعلَّمَنِيه ، ودعا لي بأن يَعيه صدري ، وتضطمَّ عليه جوانحي) نهج البلاغة / الخطبة ١٢٨ .

الثانية

قال الإمام الصادق (عليه السلام) لهشام : (إنا نحن نتوارثُ الكمالِ والتمام ، اللَّذَين أنزلهما الله على نبيه في قوله : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ..) المائدة : ٣ ، والأرض لا تخلو مِمَّن يكمل هذه الأمور التي يقصر عنها غيرنا) .

فلما سمع ذلك هشام انقلبت عينه اليمنى فاحْوَلَّت ، واحمرَّ وجهه ، وكان ذلك علامةُ غضبه إذا غضب ، ثم أطرق هنيئة ، ثم رفع رأسه فقال للإمام (عليه السلام) : ألسنا بنو عبد مناف نسبنا ونسبكم واحد ؟

فقال (عليه السلام) : (نحن كذلك ، ولكن الله جلَّ ثناؤه اختصَّنا من مَكنون سِرِّه ، وخالص عِلمه ، بما لم يختص أحداً به غيرنا) .

فقال : أليس الله جلَّ ثناؤه بعث محمداً من شجرة عبد مناف إلى الناس كافَّة ، أبيضها وأسودها وأحمرها ، من أين ورثتم ما ليس لغيركم ، ورسول الله مبعوث إلى الناس كافة ؟ وذلك قول الله تبارك وتعالى : (وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ..) آل عمران : ١٨٠ ، الحديد : ١٠ .

فمن أين ورثتم هذا العلم وليس بعد محمد نبي ، ولا أنتم أنبياء ؟

فقال (عليه السلام) : (من قوله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ)) القيامة : ١٦ .

فالذي أبداه فهو للناس كافة ، والذي لم يحرك به لسانه ، أمر الله تعالى أن يخصَّنا به من دون غيرنا ، فلذلك كان (صلى الله عليه وآله) يناجي أخاه عليا (عليه السلام) من دون أصحابه ، وأنزل الله بذلك قرآناً في قوله تعالى : (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) الحاقة : ١٢ .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأصحابه : (سألت الله تعالى أن يجعلها أذنك يا علي) .

فلذلك قال علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالكوفة : (علمني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألف باب من العلم ، يُفتح من كل باب ألف باب) ، خَصَّه به رسول الله (صلى الله عليه وآله) من مَكنون علمه ، ما خَصَّه الله به ، فصار إلينا ، وتوارثناه من دون قومنا) .

فقال هشام : إن عليا كان يدَّعي علم الغيب ، والله لم يُطلِع على غيبه أحداً ، فمن أين ادَّعى ذلك ؟

فقال الإمام الصادق (عليه السلام) : (إن الله جلَّ ذكره أنزل على نبيِّه (صلى الله عليه وآله) كتاباً ، بَيَّن فيه ما كان ، وما يكون ، إلى يوم القيامة ، في قوله : (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى

لِلْمُسْلِمِينَ) النحل : ٨٩ .

وفي قوله : (وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) يس : ١٢ ، وفي قوله : (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) الأنعام : ٣٨ .

وفي قوله : (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِلاّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) النمل ٧٥ .

وأوحى الله تعالى إلى نبيه (صلى الله عليه وآله) أن لا يُبقِي في غَيبه ، وسِرِّه ، ومكنون علمه شيئاً ، إلا يناجي به علياً ، فأمره أن يؤلف القرآن من بعده ، ويتولَّى غُسله وتكفينه وتحنيطه من دون قومه .

وقال (صلى الله عليه وآله) لأصحابه : (حرام على أصحابي ، وأهلي ، أن ينظروا إلى عورتي غير أخي علي ، فإنه مني ، وأنا منه ، له ما لِي ، وعليهِ ما عَلَيَّ ، وهو قاضي ديني ، ومنجز موعدي) .

ثم قال (صلى الله عليه وآله) لأصحابه : (علي بن أبي طالب يقاتل على تأويل القرآن ، كما قاتلت على تنزيله ، ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلا عند علي) .

ولذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأصحابه : (أقضاكم علي) ، أي هو قاضيكم ، وقال عمر بن الخطاب : لولا علي لهلك عمر ، أفيشهد له عمر ويجحد غيره) ؟!

الثالثة

عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) : (ألا إنَّ للعبد أربع أعين : عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه ، وعينان يبصر بهما أمر آخرته ، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين في قلبه فأبصر بهما الغيب في أمر آخرته) الخصال ١ / ٢٤٠ ح ٩٠ باب الأربعة .

وذكر المتقي الهندي الحديثَ في كتابه كنز العمال ٢ / ٤٢ ح ٣٠٤٣ ، بلفظ مشابه لهذا الحديث .

الرابعة

أخبر الإمام الرضا (عليه السلام) ابن هذَّاب بما يجري عليه في المستقبل ، حيث قال (عليه السلام) له : (إنْ أخبرتُك أنك سَتُبلى في هذه الأيام بذي رحم لك ، كنتَ مُصدِّقاً لي) ؟ قال : لا ، فإن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى .

قال (عليه السلام) : (أوَ ليس الله يقول : (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ..) الجن : ٢٦ – ٢٧ .

فرسول الله (صلى الله عليه وآله) عند الله مرتضى ، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما يشاء من غيبه ، فعلمنا ما كان ، وما يكون ، إلى يوم القيامة .

وإن الذي أخبرتُك يا ابن هذاب لكائنٌ إلى خمسة أيام ، فإن لم يَصحُّ ما قلتُ فبهذه المدة ، وإلا فإني كذَّاب مُفتَرٍ ، وإن صَحَّ فَتعلَمُ أنَّك الرَّادُّ على الله ، وعلى رسوله (صلى الله عليه وآله) ، ولك دلالة أخرى ، فَتُصاب بِبَصرك وتصير مكفوفاً ، فلا تبصر سهلاً ولا جبلاً ، وهذا كائن بعد أيام ، ولك عندي دلالة أخرى ، إنَّك ستحلِفُ يميناً كاذبة فَتُضرَب بأبرص) .

قال محمد بن الفضل : بالله لقد نزل ذلك كله بابن هذاب [الخرايج والجرايح للراوندي ٣٠٦ الباب التاسع] .

نقول : هذه رواية صريحة في علمهم (عليهم السلام) للغيب .

الخامسة

وفي خطبة للإمام علي (عليه السلام) يذكر فيها صفات الإمام ، جاء فيها : (ويلبسُ الهيبةَ ، وعلم الضمير ، ويطَّلع على الغيب ، ويعطي التصرُّف على الإطلاق) مشارق أنوار اليقين : ١١٥ .

السادسة

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (نبئت وآدمَ بين الروح والجسد) .

وقال (صلى الله عليه وآله) أيضاً : (وجبت لي وآدم بين الروح والجسد) فضائل ابن شاذان : ٣٤ ، كنز العمال ١٢ / ٤٢٦ .

نقول : فكونه (صلى الله عليه وآله) نبيّاً ينبأ ، في غاية الوضوح والدلالة على تلقيه العلوم في ذلك العالم ، إذ يستحيل أن الله اتَّخذ نبيا ونبأه وهو فاقد للعلم ، وفيما ذكرناه من الروايات كاف لمن ألقي السمع وهو شهيد .